

# وَلَمَّادَخَلُواْ مِنَ حَيْثُ أَمَرَهُمُ أَبُوهُمُ مَّاكَانَ يُغَنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَه لَهَا وَإِنَّهُ وَ لَلَّهُ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَه لَهَا وَإِنَّهُ وَ لَلَّهُ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَه لَهُ اللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَا عَلَمْنَ لُهُ وَلَاكِنَ أَكُ تَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

# لقاء سيدنا يوسف بأخيه بنيامنين

(012) سورة يوسف

الدرس الثاني عشر: شرح الآيات 68 - 80

2021-08-14

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

### وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه عند دخولهم مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، وبعد:

مع اللقاء الثاني عشر من لقاءات سورة يوسف، ومع الآية الثامنة والستين من السورة، وهي قوله تعالى:

بِسْم اللَّـهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَصَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68)

[ سورة يوسف]

أخوة يوسف الآن سيدخلون عليه، بعد أن طلب منهم أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم، جاؤوا بأخيهم من أبيهم وهو بنيامين، وهو الأخ الشقيق ليوسف عليه السلام، من أم واحدة، فجاؤوا به، ورجعوا الآن إلى يوسف عليه السلام، يعقوب عليه السلام أوصاهم ألا يدخلوا من باب واحد كما أسلفنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ **وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ** وَمَا أَكْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتُوكِّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (67) أي لا تدخلوا مجتمعين، ادخلوا متفرقين، كل اثنين، أو كل واحد من باب، وبيّنا وقتها أن الحكمة من ذلك قد أخفاها الله تعالى، وما ذكرها، وما ذكرها يعقوب.



العين حق

ستوسحه وقلنا: لعلها رغبة من يعقوب أن يحميهم من العين الحاسدة، والعين حق كما جاء في الأحاديث الصحيحة، فهم أحد عشر أخاً أشداء، أقوياء، قد قدموا من أرض كنعان إلى مصر، ويدخلون بما معهم، وبما جاؤوا به، فالعين حق، هذا وارد في الصحيح، أو لعله خاف عليهم من أعداء متربصين بهم، أو أنه ما أرادهم أن يدخلوا على العزيز بمجموعهم من المدينة إلى مصر فيلفتوا الأنظار من حولهم، من هؤلاء؟ ولماذا جاؤوا؟ حكم كثيرة.

### الرمز في سورة يوسف:

سورة يوسف عليه السلام فيها موضوع الرمزية واضح جداً، الرمز الذي يخفي وراءه شيئاً، فجاء هذا على النسق نفسه، من أول السورة:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ **إِنِّي رَأَيْثُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)**

[ سورة يوسف]

من الأحد عشر كوكباً؟ من الشمس؟ من القمر؟ رموز، ثم في السجن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ يَا صَاحِبَہِ السِّجْنِ **أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْاَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ** قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)

[ سورة يوسف]

أيضاً كانت ضمن رموز معينة، الأول يسقي ربه خمراً، والثاني رأى الطير تأكل من رأسه، رمز، ثم الملك لما رأى الرؤيا.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى **سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافُ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ** يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَقْتُونِي فِي رُؤْبَايَ إِنْ كُثَنْمْ لِلرُّؤْيًا تَعْبُرُونَ (43) رمز، فالرمزية في قصة يوسف شيء ملفت للنظر، فجاءت هنا أيضاً ضمن الرموز: ( إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ بَعْفُوبَ فَصَاهَا )، ما ذكر ما هي هذه الحاجة، ترك الخيال لك لتسبح في هذه الحاجة التي أسرها يعقوب في نفسه.

### الأخذ بالأسباب والاعتماد على رب الأرباب:

**(وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ)** إِذاً نفذوا وصية والدهم ودخلوا متفرقين قال: (**مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) انظر (<b>مِنْ شَيْءٍ)** كلمة عامة، ربما تكون أعم كلمة في اللغة العربية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً أَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجُهَهُ** لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)

[ سورة القصص]



إردة الفنه تلكيه كل شيء، فشيء كلمة عامة، ولما جاءت قبلها من أفادت الاستغراق، أي لم يكن بستطيع يعقوب أن يغني عنهم بتلك النصيحة شيئًا من الله إن أراد بهم شيئًا، أبدًا، أي لو أنهم دخلوا مجتمعين، أو متفرقين فإرادة الله نافذة، لماذا يعقوب يقول لهم إذًا: **(وَادُخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَقَرِّفَةٍ)** لأن الله تعالى أمر بالأخذ بالأسباب، فهو يتعبد الله بها، لكنه يعقل أن هذه الأسباب لا يمكن أن تفعل فعلها إن لم يأذن الله؟! وهذا شأن المؤمن الذي ينبغي أن نفهمه، إذاً نأخذ بالأسباب دائماً، ربنا عز وجل أمر إذا أردت أولاداً فتزوج، إلسكين تفعل فعلها بأمر نسأل الله السلامة للجميع - وكان هناك سبب عند الزوج أو الزوجة، فكان هناك عقم، إذاً الأسباب لم تفعل فعلها، لكن الأصل أنك إذا أردت الأولاد فتزوج، السكين تفعل فعلها بأمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)

[ سورة الصافات]

السكين ما ذبحت لأن الأسباب موجودة، النار تحرق لكن لما ألقوا إبراهيم في النار، النار ما أحرقته .

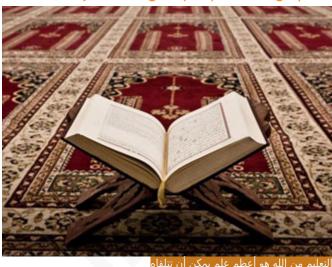
بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)

[ سورة الأنبياء]

إذاً الأسباب شيء والمسبب شيء آخر، فأنت تنظر إلى مسبب الأسباب، وتتعلق بمسبب الأسباب، لكنك تفعل الأسباب اعتماداً على الله لا عليها، وتعبداً لله، لأنه أمرك إذا أردت شيئاً أن تأخذ بالأسباب.

ومن لطف الله بنا أنه جعل الأسباب غالباً تفضي إلى النتائج، غالباً تفضي إلى النتائج المرجوة منها، وعطلها أحياناً من أجل أن تفهم أنها لا تفعل فعلها بنفسها، وإنما بتدبير الله وتقديره، فقال: (**مَا كَانَ يُخْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْفُوبَ قَضَاهَا)** أي قضى حاجة في نفسه، قضاها أي حققها، أرادها، وحصلت وهو ألا يدخلوا من باب واحد وإنما من أبواب متفرقة.

### التعليم من الله أعظم علم يمكن أن يتلقاه إنسان:



العليم من الله هو اعظم علم يمدن ان تنافاه ثم قال: (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْم لِمَا عَلَمْنَاهُ) يعقوب عليه السلام ذو علم، والله تعالى أكد ذلك: (وَإِنَّهُ) إنّ حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد، (لَذُو) اللام لام التوكيد، ما قال: إنه ذو، ثم قال (لَذُو عِلْم) علم نكرة، تفيد العلم الشامل النافع، لكن ليس كعلم الله، طبعاً الله هو العليم الحكيم، أما هنا (لَذُو عِلْم) فصاحب علم، لكن علم كبير واسع (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ) فأكد ذلك (لِمَا عَلَّمْنَاهُ) هذا أيضاً تأكيد لأنه تعليم من الله، وإذا كان التعليم من الله فهو أعظم علم يمكن أن تتلقاه (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ).

الحقيقة أنه حضرني هنا لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمي، وقولهم إن الأمي نسبة إلى أم القرى هذا قول موجود، النبي صلى الله عليه وسلم النبي الأمي نسبة إلى أم القرى، وهناك قول إنه أمي نسبة إلى الأم، وأنه على الفطرة لا يقرأ ولا يكتب، كما نستخدم اليوم الأمية في عصرنا، فقولهم ليس بجديد في أنه أمي، وأمي قد تكون بمعنى أنه منسوب إلى مكة المكرمة التي كانت تسمى أم القرى، لكن هذا لا ينفي أنه لم يكن يقرأ ولم يكن يكتب، لا ينفي ذلك لقوله تعالى:

> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَمَا كُنْتَ تَثْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابِ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)

[ سورة العنكبوت ]

لو كنت تتلو كتاباً ؛ أي تقرأ، **(وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)** لشكك المبطلون في دعوتك، فقالوا: إنما جاء به، قد جاء من معرفته، من معارفه السابقة، ومن علومه التي تعلمها، فهو يخط القرآن بيمينه، أو يقرؤه علينا من معلوماته السابقة، فجعله الله تعالى لا يقرأ ولا يكتب من أجل هذا المعنى.

### أمية النبي وسام شرف بحقه:

ثم يقول هؤلاء على رسائل الواتس آب، إن الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ** يَثْلُو عَلَيْهِمْ أَيَاتِهِ وَبُرَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)

[ سورة الجمعة ]

### بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحِيمِ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارِ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ **قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيل**ٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

[ سورة الجمعة ]

أهل الكتاب كانوا يقولون: (**لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)** أي يحق لنا أن نسرق منهم، أو نفعل ما نشاء، هؤلاء ليسوا أهل كتاب، فالأميون هنا ليسوا أهل كتاب، فقال: (**بَنْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ)** وهذا لا يتعارض مع أنه لا يقرأ ولا يكتب، فتلاوة الآيات شيء، والتلاوة من كتاب شيء آخر، (**وَمَا كُنْتَ تَنْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ)** ما قال من كتاب، لكن لما تأتيه الآيات يتلوها عليهم، يقرؤها عليهم، فأميته لا تعني أنه لا ينطق بالآيات، حاشاه صلى الله عليه وسلم.



ية النبي الكريم وسام شرف بحقه

فالذي حضرني هنا أن الله تعالى يقول: (**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْم لِمَا عَلَمْنَاهُ)** ومحمد صلى الله عليه وسلم هو ذو علم لما علمه الله تعالى، وبهذا المعنى تصبح أميته وسام شرف بحقه، لأنه لما لم يتعلم من علوم الأرض تولى الله عز وجل في عليائه تعليمه، وعندما يتولى الله تعليم عبد من عبادة فقد استغنى عن كل جامعات الدنيا، وعن كل مدارسها، وعن كل ما فيها، لأن الخالق جلّ جلاله الحكيم الخبير يعلمه، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعيبه أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل هو وسام شرف بحقه لأن الله عز وجل يعلمه، ونحن نتعلم، ونقرأ، ونكتب، ثم نأخذ حديثاً أو حديثين من أحاديث رسول الله فنبحث فيهما في مئات الصفحات، ونأخذ عليهما رسالة دكتوراه لأننا بحثنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا إعجاز نبوي عظيم من الله عليه الصلاة والسلام لنبيه.

فقال: (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْم لِمَا عَلَّمْنَاهُ) وهذا تأكيد كما قلنا: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْم) بأن الأسباب لا تفعل فعلها من غير إذن المسبب جلِّ جلاله (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ)، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أكثر الناس يظنون جهلاً منهم أن لَذُو عِلْمٍ) أن الحذر لا ينفع من قدر، وأن التدبير لا يمنع وقوع التقدير من الله عز وجل، هذا (لَذُو عِلْمٍ)، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أكثر الناس يظنون جهلاً منهم أن الأسباب تُفعل فعلها بنفسها، ويغيبون عن مسببها جل جلاله.

## ترحيب يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين:

ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69)

[ سورة يوسف]

يوسف مشتاق لأخيه بنيامين تحديداً، لأن بنيامين هو أخوه الشقيق، وهو الأقرب إلى قليه لا لأنه شقيقه فحسب، بل لأنه بعيد عن أفعال إخوته التي تصرفوا بها، وآذوا يوسف عليه السلام بها، (**آوَى إِلَيْءِ أَخَاهُ)** ضمه إليه، وقربه منه، لعله فعل ذلك في غرفة منفصلة أو على الطعام من غير أن يشعروا، أو بعد أن استقبلهم، إلى آخره (**آوَى إِلَيْءِ أَخَاهُ قَالَ** إِ<mark>نِّي أَنَا أُخُوك</mark>) طَمَأنه (**فَلَا تَبْتَئِسْ)** أي فلا تحزن (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي بسبب أفعالهم، وهنا يدل أن أفعالهم لم تتوقف مع بنيامين، كما لم تتوقف من قبل مع يوسف، فكان يعلم يوسف أنهم كانوا يسيئون لأخيهم كما أساؤوا له من قبل.

### خطة يوسف المحكمة في ضمّ أخيه إليه:

ثم قال:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70)

[ سورة يوسف]



المؤدن بعلم الناس بدخول وقت الصلاة جهازهم أي ما ينبغي أن يأخذوه معهم من الحنطة، والدقيق، وغير ذلك (جَهَّرَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَحِيهِ) السقاية؛ هي الكأس التي كان يشرب بها الملك، وقيل إنها كانت تستخدم أيضاً مكيالاً، لكن هي كأس الملك التي يشرب بها، فهنا السقاية بمعنى الكأس، السقاية تأتي مصدراً من سقى سقاية، وتأتي بمعني الكأس الذي يُشرب به سقاية، فهذه سقاية الملك أي الكأس التي يشرب بها الملك، وكانت مصنوعة كما يذكر كثير من المؤرخين من الفضة، أي كأس قيّمة جداً (جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْل أَحِيهٍ) أي في الأغراض التي وضعت على البعير لأخيه، أي الرحل، (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَدِّنُ) أي بأعلى صوته أعلمهم، قال: (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَدِّنٌ) أي بأعلى صوته أعلمهم، قال: (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤذِّنٌ) أي بعد حين، وكأنه تركوهم إلى أن يمشوآ قليلاً، وربما بدؤوا يخرجون من المكان، ثم هذا يفيد أن هناك فترة، يوجد تراخ بالمنادي، لأن ثم تفيد الترتيب على التراخي، ما قال: فأذن فوراً، تركوهم يسيرون، (ثُمَّ أَذَّنٌ مُؤذِّنٌ) المؤذن الذي يكثر من الإعلام، فسمي مؤذناً لأنه يُعلم الناس بدخول الوقت، بدخول وقت الصلاة، أو يعلمهم حين وقت الصلاة، أن هلموا إلى المسجد فقد حان وقت أداء الصلاة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَتَا رَبُّنَا حَقًا فَهَلْ وَجَدْثُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ بَيْنَهُمْ أَنْ لَغْنَهُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِين (44)

[ سورة الأعراف ]

أي أعلم معلم لكن بصوت عال، المؤذن يقول: (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) العير هي في الأصل الجمال التي تحمل الناس، سمي الركب كله عيراً، وهذه ليس لها مفرد من لفظها، العير، لأنها دائماً مجموعة، (أَيِّتُهَا الْعِيرُ إِتَّكُمْ لَسَارِفُونَ) إنَّ واللام فيها تأكيد كما قلنا (إِتَّكُمْ لَسَارِفُونَ) يتهمونهم بالسرقة، وهؤلاء جاؤوا من كنعان، أبناء يعقوب عليه السلام النبي وهم معرفون في ديارهم، أي هذه تهمة خطيرة أن يتهم الإنسان بالسرقة.

> بِسْم اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71)

[ سورة يوسف ]

رجعوا وأقبلوا عليهم (مَاذَا تَفْقِدُونَ)؟

بِسْم اللَّهِ الرَّحْمَـٰن الرَّحِيم

قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72)

[ سورة يوسف ]

هو السقاية نفسها يطلق عليها الصواع، والسقاية (فَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) من يأتينا به له حمل بعير، وفي هذا الوقت حمل بعير شيء كبير جداً، فالقمح مفقود، والناس تعيش في مجاعة، فهو كان يعطي كل إنسان حمل بعير ربما في الشَهر، فحمل بعير كامل هدية، أي (وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) قال: (وَأَنَا بِهِ رَعِيمُ) هذا المؤذن الذي أذن قال: (وَأَنَا بِهِ رَعِيمُ) أي أنا به كفيل، أي أنا أكفل أن تصل إليكم المكافأة لمن يأتي بالصواع، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (( أنا زعيم في بيت فيه ربض الجنة - في وسط الجنة- لمن ترك المراء وإن كان محقاً ))

المراء؛ هو الجدال الذي لا طائل وراءه، أنا زعيم ؛ أي أنا كفيل.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73)

[ سورة يوسف ]

هذا قسم، تالله، بالله، والله، لكن غالباً ما يستخدم تالله عند وجوب حالة تعجب والله بشكل عادي، تالله يكون في شيء مستغرب (قَ**الُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ** فِ**ي الْأَرْضِ)** السرقة إفساد في الأرض، ونحن (**مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ)** والإفساد ضد الإصلاح، (**مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) لم يكن من شأننا، ولا من شيمنا أن نسرق (<b>وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ)** أي لم يكن ذلك من عادتنا، ولن نفعله الآن.

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا فَمَا جَرَاؤُهُ إِنْ كُثْثُمْ كَاذِبِينَ (74)

[ سورة يوسف ]

ما جزاء هذا الأمر إن كنتم قد سرقتم وتكذبون الآن في دعواكم؟

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)

[ سورة يوسف ]

كان في شرعة يعقوب عليه السلام أن من يسرق من إنسان يُسترقُّ بهذه السرقة، بشرعة الإسلام تقطع يده، وبقوانين اليوم يسجن سنوات، وفي شرعة يعقوب عليه السلام كان يوسف عليه السلام بعلم ما شرعة أبيه، فقد خرج من المكان وهو واع لذلك، ولو لم يعلم لعلم بعد ذلك، فكنعان قريبة ليست بعيدة جداً، فتصله أخبارها، فهنا قال: كان من شرعة يعقوب عليه السلام أن السارق يُسترق، أي يصبح عبداً عند من سرق منه (قَالُوا جَرَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ) أي تأخذون الذي وجد في رحله فهو جزاؤه، أي تأخذون الذي وجد في رحله وتجازوه، تسترقونه، (كَذَلِكَ مَجْزِي الطَّالِمِينَ) هذا جزاء الطالمين في شرعتنا، والسرقة ظلم، ظلم للآخرين لأنك تأخذ شيئاً ليس لك، وظلم للنفس لأنك تعرضها لسخط الله في الآخرة، وتعرضها لمذمة الناس في الدنيا، فالسارق محتقر فهو ظالم (كَذَلِكَ نَجْزِي الطَّالِمِينَ) على ظلمهم.

الحكمة من خطة يوسف عليه السلام:



سلوب انتزاع العقوبة من المعاقب

مسوب المركل معرف المستخدم أسلوباً عظيماً يكيد الله له كما سيتبين بعد قليل، وهو أن تنتزع العقوبة من المعاقب، أنت عندك موظف في العمل يتأخر كل يوم، تأخر مرة ومرتين وثلاث، ونبهته، في الأخير قلت له: الآن لن أستحمل ذلك، قال لك: آخر مرة، لن أكرر ذلك، ولن أتأخر بعد ذلك، فقلت له: وإن تأخرت، أنت قل لي الآن، وإن تأخرت ماذا أفعل أنا؟ يقول لك: والله يا معلمي إذا تأخرت مرة ثانية فمن حقك أن تفصلني من العمل، هذا حقك، تقول له: أكيد؟ يقول: شهدتم؟ يقولون: شهدنا، فإذا جاء المرة ثانية متأخراً تقول له: أنت الذي وضعت القانون وليس أنا، أنت من وضعت القانون.

فهنا يوسف عليه السلام سألهم قبل أن يفتش فهم وضعوا القانون، أنت من حقك أن تأخذه، وهو يريد في المحصلة أن يستبقي أخاه عنده، وهنا نسأل استبقاء أخيه عنده أليس فيه مزيد حزن على قلب أبيه؟ بلى، لا ننكر ذلك، لكن يوسف عليه السلام كان يسير بأمر من الله عز وجل، وهذا الحزن وإن كان يحصل لأيام بعد أن يفقد بنيامين كما فقد يوسف، فإنه سيكون قُرحةً أكبر، وأعظم عند اللقاء، فيوسف عليه السلام أيضاً كان يريد أن يحصل توبة من أخوته لأنه داعية إلى الله، وبالمحصلة الآن وكل كيده لهم من أجل أن يوصلهم إلى لحظة الندم التي سيصلون إليها في المحصلة، فمن أجل كل ذلك كان يقوم بهذا الفعل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَقَوْقَ كُلَّ ذِي عِلْم عَلِيمٌ (76)

[ سورة يوسف ]



لكيد يكون في الشر ويكون في الخير

العند يدول في الشرويكون في الكيد ؛ يكون في الشر، ويكون في النفي التهمة عن نفسه في أنه يريد استبقاء أخيه (فَبَدَأَ بِأَوْعِبَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ السَّتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْتَا لِيُوسُفَ مَا الخير، يكيد الإنسان للآخر من أجل أن يوصل إليه حقاً قد سلب منه، فالكيد ليس مفهوماً سلبياً، الكيد يكون في الشر ويكون في الخير، فهنا في الخير، (كَذَلِكَ كِدْتَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِبَأْخُذَ أَحَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) في شرعة الملك لا يستطيع أن يبقي أخاه عنده لأن السارق لا يُسترق، لكنه أخذه في دين يعقوب لا في دين الملك، وهنا سمَّى شرعة الملك ديناً، لأن الدين ما تدين به، وما ترجع إليه، القوانين في هذا المعنى دين فالناس يدينون بدين الله عز وجل، أو بدين ملوكهم، أو يدينون بدين الشهوة ألم يقل صلى الله عليه وسلم:

إذاً هذا دينه هو الدينار والدرهم والفضة، فقال: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِ**ي دِينِ الْمَلِكِ)** وهنا إشارة لطيفة، اليوم كثيرٌ من الناس يفهمون الدين على أنه الأشياء التي تتعلق بعبادات شعائرية ؛ بعلاقتك بالله، فيصلي، ويصوم، ويزكي، ويحج إن استطاع، ويقول لك: أنا صاحب دين، صاحب الدين يقوم بهذه الفرائض على رأس الأولويات، لكنه لا يكتفي بها، ذو الدين لا يكتفي بهذه، لأن الدين هو ما تدين به وترجع إليه بكل شؤون حياتك، فهنا سماه: دين الملك، فهمنا منها أن الدين ينبغي أن يكون ديناً يطبق، لا مجموعة شعائر فحسب.

### رفع الله عز وجل من يشاء من عباده بالدرجات والرتب:



منه قائى: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِ**ي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)** ربنا جلَّ جلاله يرفع من يشاء من عباده درجات، الدرجة هنا كناية عن المرتبة، (نَ**رْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ)**، فالله تعالى رفع سيدنا يوسف عليه السلام درجات، ورفع هنا أخاه بنيامين، ورفع من قبل أباه يعقوب، فيرفع ربنا جلّ جلاله من يشاء من عباده بالدرجات والرتب، قال تعالى:

> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْتَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْأَخِرَهُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (21)

[ سورة الإسراء ]

أنت اليوم انظر للدنيا، هل تستطيع أن توازن مجرد موازنة بين معلم في مدرسة ابتدائية في قرية نائية، وبين أستاذ بروفيسور في أهم جامعة في البلد وهو ذو كرسي؟ أستاذ ذو كرسي له كرسي في الجامعة، مع أن الاثنين يعملان في التعليم، هل تستطيع أن توازن بين رجل يجلس على قارعة الطريق ويضع قطعة قماش ويضع عليها الحاجات ويبيعها للناس مع أكبر تاجر في البلد تأتيه كل شهر بضائعُ بالملايين وببيعها؟ الاثنان تجار، أليس تاجراً ذاك الجالس على قارعة الطريق؟ ما هي التجارة؟ هو يشتري ويبيع ويربح، تقول: هذا تاجر وهذا تاجر، لكن شتان بينهما، هل تستطيع أن توازن بين ممرض يعطي الحقن في العضل وفي الوريد في مستشفى بسيط جداً، أو في مستوصف ناءٍ في مكان ما، وبين طبيب جراح القلب الأول في البلد وبين دخل هذا وذاك؟ لا تستطيع، وقد يكون الممرض أقرب إلى الله من الطبيب، لكن في حال الدنيا لا يقارن.

قال: (الْنْطُرْ كَيْفَ فَصَّلْنَا بَغْصَهُمْ عَلَى بَعْصٍ) والتفضيل لا يعني الأفضلية دائماً أي قد يكون المعلم في المرحلة الابتدائية يؤدي دوراً أعظم وأهم من الأستاذ الجامعي لكن في نظر الناس هذا غير ذاك.

قال: **(وَلَلْآخِرَهُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَغْضِيلاً)** أي عندما ترى شيئاً، انتظر التفضيل الحقيقي يجيء يوم القيامة، سترى درجات متباعدة، ضمن الجنة سترى درجات متباعدة، واحد بالفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ورجل كما يقال خلف الباب، هذا آخر واحد يدخل الجنة، هذا في الجنة درجات، أما في النار فدركات والعياذ بالله، بين من يدخل ويخرج وبين من يخلد.

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ **فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (145)

[ سورة النساء ]

على الإنسان ألا يغتر بعلمه الديني أو الدنيوي:

فالآخرة تفضيلها أكبر بكثير من الدنيا، قال: (إِلَّا أَنْ بَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) هذه الآية (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) أي فوق كل صاحب علم، الصاحب وجد قبل العلم، أي اكتسب العلم اكتساباً، صاحب علم (وَ<mark>فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ)</mark> فولد الصاحب ثم اكتسب العلم، فأصبح صاحب علم، أماً عليم فالعلم فيه ذاتي، ربنا عز وجل عليم جلّ جلاله، ما قال: وفوق كل صاحب علم صاحب علم أكبر، لا، عليم، فأنت مهما وصلت من العلم فوقك ممن يحمل العلم الكثير، ثم فوق الجميع العليم جلَّ جلاله، فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بعلم تعلمه، لا بعلم ديني ولا بعلم دنيوي.

استمرار افتراء أخوة يوسف:

قال أخوته العشر:

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخُ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)

[ سورة يوسف ]



مة بمسف كثيراً

ما زالت المعصية في نفوسهم، ما زال الحقد في نفوسهم، لم تلن قلوبهم بعد (إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ) يقال وهذه من روايات المفسرين ولا نثق بها، لا أقول لا نثق بالمفسرين، لكن بالروايات الموجودة في الكتب، لكن هذه من أجل أن نفهم شرعية الملك في شرعة يعقوب أنهم يسترقون من سرق، فيذكرون أن راحيل عمة يوسف عليه السلام أحبت يوسف كثيراً، فوضعت له شيئاً منها في ثيابه، حتى يتهم بالسرقة فيتركونه عندها، فبقي عندها فترة قبل أن يعود لأبيه لأنه سرق، لكن لا نحتاج إلى هذا التأويل أصلاً، لأن هؤلاء لا يحتاجون إلى أن يكونوا صادقين في ذلك فهم قد كذبوا قبل ذلك.

> بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

[ سورة يوسف ]

فلا حاجة إلى أن يكون قد حصل ما يشتبه أنه سرق من قبل، حتى يقولوا: (إِنْ يَ**سْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلُ)** يفترونها فرية لا أصل لها، وانتهى الأمر، بهتان، هؤلاء فعلوا ذلك قبلاً فلماذا لا يفعلونه الآن؟ فأرادوا أن ينتقموا من بنيامين، لأنه هو ويوسف من أم أخرى، فهؤلاء أبناء فلان هذا طبع عند هذه العائلة، فهم يعتدون ونحن عصبة.

العاقل من ينطق بالكلمة في الوقت المناسب:



منام الا التطبق بالكلمة إلا في الوقت المناسب (**قالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخُ لَهُ مِنْ قَبْلُ قَأْسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ)** تعلم ألا تنطق بالكلمة إلا في الوقت المناسب، وعندما تؤدي الهدف المناسب، لا تندفع وراء عواطفك، فكر قبل أن تتكلم، يوسف كان بإمكانه وهو الآن عزيز مصر أن يهب في وجههم ويقول لهم: أين دليلكم؟ وما الذي تقولونه؟ وأنتم تقولون بهتاناً وإثماً: (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ) لم يحن الوقت.

(قِالَ) قال في داخله لأنه أسرها، معنى القول أي في داخلهِ (أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاناً) أي مكانة، أي أنتم شر مكانة، أنتم السارقون، سرقتم يوسف من أبيه، هذه أعظم سرقة فعلتموها (أَنْتُمْ شَرُّ مَكَاناً) لمن تتهمونهم بالسرقة، ومكانة (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) وتصفون غالباً تأتي لمن؟

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ **وَنَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِ**بَ أَنَّ لَهُمُ الْخُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62)

[ سورة النحل ]

تصفون تأتي للكذب، يصف ؛ يكذب، غير الوصف بمعنى أنه يصفه، بمعنى أنه يعطي صفاته **(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)** أي بما تقولون الكذب، ويكفي أن الله أعلم، إذا كنت بريئاً عند الله فليقل الناس ما يقولونه، لأن الله هو الذي يحاسب **(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)** .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78)

[ سورة يوسف ]

تحرك كوامن الفطرة في داخل أخوة يوسف بعد تذكر وعدهم لأبيهم:

الآن بعد أن قالوا هذه الكلمة، وألقوا تلك الكذبة، عادوا إلى أنفسهم، الآن عندهم مشكلة كبيرة، هم تعاهدوا مع والدهم على أن يرجعوا ببنيامين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيم قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَنَّى تُؤْثُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْثَنَّنِي بِهِ **إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا أَنَوْهُ مَوْثِقَهُمْ** قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ (66)

[ سورة يوسف ]

وعاهدوا الله، وعاهدوه أمام الله تعالى فكيف الآن يعودون ويلقون أباهم وبأي وجه؟ والمرة الثانية أصعب من الأولى، في الأولى قبل سنوات طويلة ما جفّ حزنه، ما جفّ بكاؤه بعد فكيف الآن يعودون إليه بخبر جديد؟!

(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْحًا كَبِيراً) شيخاً كَبِيراً) شيخاً كَبِيراً) شيخاً كُبيراً) شيخاً كُبيراً) شيخاً كُبيراً) شيخاً كيراً

# بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)

[ سورة يوسف ]

(كَبُرَ مَفْتاً) المقت كبر ليس بالسن، كبر عمر المقت، المقت كبير، الكبير تأتي من كَبُر، وتأتي من كَبِر، فهنا تحمل المعنيين (إنَّ لَهُ أَباً شَيْحاً كَبِيراً) شيخاً أخذت معنى العمر المتقدم، فلعل كبيراً هنا المكانة والقدر، أي لا يليق أن نعود وأن نقول: والله ابنك سرق، يعقوب والده، نبي (إنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً) كبيراً في قدره (فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا مَكَانَهُ إِنَّا مَكَانَهُ إِنَّا مَكَانَهُ إِنَّا مَتَاهُمْ مَكَانَهُ المَّامَةُ المَّامِةُ وَمِينَ اللهُ وسبق إحسانه له أعطاهم، وأجزل لهم العطاء، وأعاد إليهم بضاعتهم، هو أجزل لهم العطاء فقالوا: (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) من أحسنوا لنا.

### النهى عن أخذ إنسان بجريرة إنسان آخر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ (79)

[ سورة يوسف ]

أي أعوذ بالله معاذاً، ألتجئ إليه، وأحتمي به، العوذ هو الالتجاء (**مَعَادَ اللَّبِ)** أي لا يمكن (**أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَنَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَطَالِمُونَ)** وهذا قانون أيضاً في كل الشرع لا يمكن أن تأخذ إنساناً بجريرة إنسان، والله تعالى علمنا ذلك، فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُحْزى (164)

[ سورة الأنعام ]



وهذا قانون إلى يوم القيامَة، لا يمكن أن تحمل إنساناً وزر إنسان آخر، وهنا يوسف عليه السلام يتكلم بكلام غاية في الدقة، ما قال لن نأخذ إلا من سرقنا، وإنما قال: (إِلَّا <mark>مَنْ وَجَدْنَا</mark> مَ**تَاعَنَا عِنْدَهُ)** فما اتهم أخاه بالسرقةٍ، ولو قال إلا من سرقنا لاتهمه بما ليس فيه، لكن هنا المؤذن قال: (إِيَّكُمْ لَ**سَارِفُونَ)** ربما المؤذن لا يعلم جاءه الخبر أنه فقد صواعِ الملٍك، أما

مناعنا عبده) فما انهم اخاه بالسرفه، ولو قال إلا من سرفنا لانهمه بما ليس فيه، لذن هنا المؤذن قال: (إلم من المؤذن لا يعلم جاءه العبر انه فقد صواع الملك، أما يوسف فما قال له إنه سارق، قال: (إلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَنَاعَنَا عِنْدَهُ) وهذا الذي حصل، وجدوا متاعه عنده (إلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَنَاعَنَا عِنْدَهُ) يوهذا الذي حصل، وجدوا متاعه عنده (ألِّلا مَنْ وَجَدْنَا مَنَاعَنَا عِنْدَهُ) وهذا الذي بر من الظلم، في أن يؤخذ إنسان بجريرة إنسان آخر، فتمنع بنت من الزواج لأن أمها ثبت عليها جرم من الجرائم، فلا تزوج وهي صالحة، ويقول لك: لا أريد أن آخذها، ويستدل بحديث موضوع لا أصل له: "إياكم وخضراء الدمن، وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الصالحة في منبت السوء " وهذا حديث موضوع لا أصل له: ولا يصح أبداً، لأنك بذلك تأخذ إنسان بجريرة إنسان لا يريد، يقول هذه العائلة لا أريدها، لا يوجد مشكلة، لكن تمنع بنت من الزواج، ويؤخذ إنسان بجريرة إنسان في القضايا العشائرية، وفي قضايا الانتقام، فيُقتل إنسان، لا أتزوجها لأن هذه أمها! لا، وقد تكون مسلمة حافظة للقرآن، وليست كأمها، وتمنع من الزواج، ويؤخذ إنسان بجريرة إنسان بطلاي يؤخذ إنسان بجريرة إنسان بجريرة إنسان بجريرة إنسان هذا لا يصح، أو يقول يؤخذ إنسان بجريرة إنسان هذا لا يصح، أو يقول يؤخذ إنسان بحريرة إنسان هي القرار، ولما ألله أله أله يؤخذ إنسان بحريرة إنسان هي النبان هي النبان هي المتاء، وما دخل امرأته؟ قد تكون امرأته امرأة صالحة، عفيفة، طاهرة، لكن زوجها زانٍ، فلماذا يقع الزنا في بيته والعياذ بالله (وَلاً نَرِرُ وَارِرَةُ وِرْرَ أُخْرَى).

فهنا هذه القاعدة قال: (إِنَّ**نَا إِذاً لَطَالِمُونَ)** من الظلم أن تأخذ إنساناً بجريمة إنسان، حاسب المخطئ، فإن لم تجده، أو لم تستطع الوصول إليه هذا لا يخولك أن تحاسب أحداً من أفراد عائلته، أو من أسرته، أو من أصدقائه، أو من عشيرته، أو من غير ذلك.

ابتعاد أخوة يوسف عن أعين الناس وتشاورهم مع بعضهم بمشكلتهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا تَحِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذِ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَنَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80)

[ سورة يوسف ]

يقول القاضي عياض في كتابه الشفا: من قرأ هذه الآية (فَلَمَّ**ا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً)** قال: أقسم بالله أنها من الله لا يستطيعها بشر، لا يقدر عليها أحد.



ليأس هو فقد الأمل في الشيء

أي هذه الكلمات (فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا تَجِيّاً) لخصت نصف صفحة من الكلام فتركت لك أن تدير الحدث بذهنك، ما معنى؟ (فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا مِنْهُ) (اسْتَيْنَسُوا) هو يئست من هذه الحياة والعياذ بالله، فقد الأمل منها أو يئست من صلاح فلان فقد الأمل في صلحه، أو يئست من هذه التجارة فقدت الأمل في الربح، استئس ؛ زيادة في المعنى، كل زيادة في المباني زيادة في المعنى، بلغ اليأس منتهاه، أي لم يقل فلما يئسوا بل: (اسْتَيْنَسُوا) وكأنهم أصبحوا يطلبون اليأس من شدة فقدانهم للأمل (فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا) فضور حالهم على أنهم وصلوا إلى مرحلة أنهم استيئسوا من الملك أن يترك لهم بنيامين، أو أن يأخذ أحداً مكانه، واستيئسوا من وضعهم الذي وصلوا إليه من أن ينجوا من فعلتهم تلك، فقد وصلوا إلى وضع محرج جداً أمام والدهم (اسْتَيْنَسُوا) (فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا تَجِيّاً) خلصوا؛ انعزلوا، انعردوا، ابتعدوا عن أعين الناس، كل هذا المعنى، خلصوا، أصبحوا خالصين بين أنفسهم، خلصوا لبعضهم، ما عادوا معهم أحد، فأنت تخيل المشهد، ذهبوا وأخذوا مكاناً وحدهم، (تَجِيّاً) أي متناجين، والتناجى ؛ هو الكلام بالسر بحيث لا يسمعك أحد.

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا **إِذَا نَاجَيْنُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** ذَلِكَ خَيْرُ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورُ رَحِيمٌ (12)

[ سورة المجادلة ]

التناجي هو الحديث، أن تدير حديثاً لكن غالباً في الخفاء، بحيث لا يراك أحد، ولا يسمعك أحد، الآن بدؤوا يديرون الحديث ( نَجِيّاً ) يتناجون، بماذا يتناجون؟ ما الحل؟ ما المخرج؟ ماذا نصنع؟ هل نعود؟ ماذا نقول لوالدنا؟ ما موقفنا؟

### القرار الذي وصل إليه كبير أخوة يوسف عليه السلام:

(فَلَمَّا اسْتَبْنَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِبًاً) كل هذا الكلام الذي قلناه جاء بالإعجاز اللغوي العظيم، اللغوي، العربي، الأصيل قال: (فَلَمَّا اسْتَيْنَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً) انفردوا، واعتزلوا، وبدؤوا يفكرون، ويدبرون حديثاً، بدأ كل شخص يقول رأيه.

(قَالَ كَبِيرُهُمْ) أعطاك الرأي المهم بالموضوع كله، كبيرهم يبدو هذا نفسه الذي قال يوماً:

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ **لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ** وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)

[ سورة المجادلة ]

هذا فيه بذرة خير، وفطرة سليمة ما زالت تحركه لكنه متأثر بالجو المحيط، فأنت إذا كان عندك بذرة خير فلا تجلس مع أشخاص بشدونك إلى المعصية، اخرج من بينهم، إذا كنت كلما قعدت معهم تنتقدهم على عشرة أشياء، ولم يستجيبوا، لماذا جلوسك معهم؟ فهو بقي معهم: (قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْيْقاً مِنَ اللّهِ):

بِسْمِ اللَّءِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللَّهِ لَتَأْثَنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ **فَلَمَّا أَنَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَعُولُ وَكِيلُ (66)** 

[ سورة يوسف ]

موثقاً من الله، الوثاق؛

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَاٰنِ الرَّحِيمِ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَرِّبُ عَذَابَهُ أَحَدُ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدُ (26)

[ سورة الفجر ]

يوثقه؛ هنا بمعنى يفك وثاقه، الوثاق؛ هو ما يربط به الإنسان، فلا أحد يفك رباطه يوم القيامة، فهنا الموثق لشدة الوثاق، فأصبح موثقاً، أي مشدداً عليه (فَلَمَّا أَنُوهُ مَوْنِقَهُمْ فَالَ اللهُ عَلَى مَا نَعُولُ وَكِيلُ) هنا قال: (أَحَدَ عَلَيْكُمْ مَوْنِقاً مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْنُمْ فِي يُوسُفَ) قصرتم في رعايته، وفعلتم فعلتكم، إلى آخره، ثم أودعتموه في البئر وهكذا (مَا فَرَطْنُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) الأَرض هنا مصر، ليست الأَرض كل الأَرض، وإنما الأَرض المعهودة التي يتكلم بها وهي أَرض مصر (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ كَنُو اللهُ عَلَى اللّهُ لِي أَبِي) أَي يأذن لي أَبِي بالعودة إلى كنعان، أَرض كنعان (أَوْ يَحْكُمُ اللهُ لِي) بحكم الله عز وجل، والله أعلم بهذا الحكم، يحكم له بالعودة مع أخيه، أو بحكم له بالبقاء بالمكان الذي هو فيه (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ)، فالله جل جلاله يحكم، والناس يحكمون، لكن (خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) هو الله تعالى لأن حكمه لا معقب له، ولأنه حكمُ حكيم لا إشكال فيه.

والحمد لله رب العالمين